

خطبة الجمعة ٠٨/١٠/٢٠٢١م

يتابع حضرته الحديث عن الفتوح في عهد سيدنا عمر رضي الله عنه. كانت المساحة الكلية للبلاد المفتوحة في عهد عمر رضي الله عنه ٢٢٥١٠٣٠ ميلا مربعا، أي ١٠٣٦ ميلا من الناحية الشمالية لمكة المكرمة و١٠٨٧ ميلا من ناحية الشرق و٤٨٣ ميلا من ناحية الجنوب. كل هذه الفتوح تمت في أكثر من عشر سنوات بقليل. وذلك بعد الانتصار على مملكتنا الفرس والرومان. فكيف كان ذلك؟

١. هناك سبب يذكره المؤرخون الأوربيون وهو أن مملكتي فارس والروم كانتا فقدتا مجدهما، أي كانتا قد بلغتا كماههما ومن قانون الطبيعة أن لكل كمال زوالا. ولكنه سبب غير كاف، فعتاد العرب وعدتهم وعددهم وخبرتهم في القتال لا يقارن بهذه الجيوش.
٢. والجواب الحقيقي هو أن الشجاعة والهمة العالية والقوة والصبر والعزيمة والحماس قد دب في المسلمين في ذلك الوقت بسبب بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فيهم، وقد ضاعف عمر رضي الله عنه من هذه الصفات وشحذها فلم تستطع مملكتنا فارس والروم في عصرهما الذهبي أن تتصديا لهم.
٣. إلى جانب هذا توجد أسباب أخرى لم تساعد في الفتوح بل ساعد صدق المسلمين وأمانتهم في تأسيس الحكومة، فقد كان الناس في أي بلد يفتح يقعون في حب المسلمين لصدقهم.
٤. وكان هناك سبب آخر لذلك وهو أن المسلمين عندما قاموا بالحملات على الشام والعراق، كان العرب قاطنين بكثرة في البلدين، فعملت عاطفة الوحدة العربية عملها أخيرا، فأسلم كبار رؤساء العرب في العراق سريعا، فصاروا بعد إسلامهم عوناً كبيرا للمسلمين. أما في الشام فأسلم العرب فيها في نهاية المطاف، وتحرروا من حكم الروم.

أما الفرق بين الفتوحات في عهد عمر رضي الله عنه وانتصارات الإسكندر وجنكيز خان وغيرهما من الغزاة

هو:

١. أن هؤلاء أحرزوا انتصارات عظيمة، بالقهر والظلم والقتل العام، أما فتوحات سيدنا عمر رضي الله عنه فلم يتعد فيها الجنود المسلمون القانون والعدل قط. لم يُسمح لهم مطلقا بقطع الأشجار أو التعرض للصغار والشيوخ.
٢. أن انتصارات الإسكندر وغيره جاءت كسحاب عارض يأتي بقوة دفعة واحدة ثم ينكشف سريعا، ولم يوطدوا نظام الحكم في البلاد التي غزوها، وعلى النقيض فمن ميزة الفتوحات الفاروقية أن البلاد التي فتحها في ذلك الوقت لا تزال حتى اليوم في قبضة الإسلام رغم مرور ثلاثة عشر قرنا على فتحها، كما أن سيدنا عمر في عهد خلافته فعل بنفسه كل ما كان لزاما لتوطيد النظام في تلك البلاد.

فدراسة تلك الفتوحات بالتفصيل يتضح جليا أن كل الجنود كانوا يتحركون كالدمية بإشارات سيدنا عمر رضي الله عنه، وكان نظام الجنود مرهونا بسياسة عمر وتديبره رضي الله عنه.

لقد اخترع سيدنا عمر رضي الله عنه بنفسه نظاما عديدة للجيش من ترتيب للجنود، والمناورات العسكرية، وبناء معسكرات، وتربية الخيول، وحماية القلاع، وتحديد توقيت الحملات نظرا إلى الطقس من برد أو حر، والتحركات العسكرية، ونظام البريد، واختيار القادة، واختراع واستعمال آلات لتدمير القلاع وغيرها من الأمور العسكرية، ثم حافظ على تنفيذ كل هذه الأمور بقوة وعزيمة بشكل مدهش. كل هذه الأمور هي من خواص سيدنا عمر وحده. والحق أن سيدنا عمر قاد بنفسه الجيوش الإسلامية في الفتوحات العراقية. فعندما كان الجنود يسرون من المدينة كان يحدد لهم كل منزل يتزلونه في الطريق، بل كان يحدد لهم الطرق التي يسلكونها، وظل يرسل لهم أوامره وفقا لرؤيته، ولما وصل الجيش قريبا من القادسية، طلب خريطة المكان وبحسبها أرسل تعليماته لإعداد الجيش وترتيب الصفوف، وكان القادة الذين يتولون شتى المهام إنما كانوا يتولونها بحسب تعليمات صادرة مباشرة من عمر رضي الله عنه.

لم ير تاريخ العالم المعروف حتى اليوم فاتحا وملكا جمع الفتوحات والعدل معا مثل الفاروق الأعظم رضي الله عنه، حيث نال الفتوحات كما أقام العدل أيضا.

استشهاد سيدنا عمر:

وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا لسيدنا عمر "البس جديدا، وعش حميدا، ومُت شهيدا" عن قتادة، أن أنس بن مالك رضي الله عنه، حدثهم أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد أحدا، وأبو بكر، وعمر، وعثمان فرجف بهم، فقال: "أثبت أحد فإنما عليك نبي، وصديق، وشهيدان".
عن أبي بن كعب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قال لي جبريل عليه السلام: ليك الإسلام على موت عمر رضي الله عنه".

سيدنا عمر رضي الله عنه أنه كان يدعو باستمرار: "اللهم إني أسألك الشهادة في سبيلك، وموتاً في بلد رسولك".

فعن يوم استشهاد سيدنا عمر رضي الله عنه ويوم دفنه روايات مختلفة، يذكر معظمها أن عمر رضي الله عنه طعن في السادس والعشرين من ذي الحجة عام ثلاث وعشرين الهجري وتوفي في الأول من محرم عام أربع وعشرين الهجري ودفن في اليوم نفسه.

وقد ورد تفصيل حادثة الشهادة في صحيح البخاري كالتالي:

بينما هو يصلي طعنه غلام المعيرة بسكين ذات طرفين. فلما ظن العالج أنه مأخوذ نحر نفسه، وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه، فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة، عندما علم من قتله قال: الحمد لله الذي لم يجعل ميتي بيد رجل يدعي الإسلام، وقال لابنه: انطلق إلى عائشة أم المؤمنين، فقل: يقرأ عليك عمر السلام، ولا

تقل أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميرا، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي، ولأوثرن به اليوم على نفسي. وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء تسير معها، فلما رأيناها قمنا، فولجت عليه، فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال، فولجت داخلًا لهم، فسمعنا بكاءها من الداخل، فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين استخلف، قال: ما أجد أحدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء نفر، أو الرهط، الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فسمى عليا، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعدا، وعبد الرحمن، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شيء - كهيئة التعزية له - فإن أصابت الإمرة سعدا فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر، فإني لم أعزله عن عجز، ولا خيانة، وقال: أوصي الخليفة من بعدي، بالمهاجرين الأولين، أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيرا، ﴿الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم﴾، أن يقبل من محسنهم، وأن يعفى عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيرا، فإنهم رءء الإسلام، وجباة المال، وغيظ العدو، والأ يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم. وأوصيه بالأعراب خيرا، فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام، أن يؤخذ من حواشي أموالهم، ويرد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله، وذمة رسوله ﷺ أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا إلا طاقتهم، فلما قبض خرجنا به، فانطلقنا نمشي، فسلم عبد الله بن عمر، قال: يستأذن عمر بن الخطاب، قالت: أدخلوه، فأدخل، فوضع هنالك مع صاحبيه، فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط، الذين سماهم عمر ﷺ ليتم انتخاب الخليفة.

ثم دعى حضرته لجلسة ألمانيا بأن يبارك الله فيها بركات كثيرة ويوفق الأحمدين الألمان للاستفادة منها أكثر فأكثر. وحث أفراد الجماعة على متابعة برامجها على إم تي إيه وأعلن أنه سيخطب فيها.

ثم ذكر حضرته بعض المرحومين الذين صلى عليهم بعد الخطبة صلاة الجنازة وهم:

المرحوم قمر الدين، داعية الجماعة في إندونيسيا الذي توفي قبل بضعة أيام عن عمر يناهز ٦٥ عاما، إنا لله وإنا إليه راجعون. لقد بايع المرحوم في عام ١٩٧٢م حين كان بالغا من العمر ١٥ عاما، وبعد التعليم الابتدائي نذر حياته لخدمة الجماعة، وسافر إلى باكستان للحصول على التعليم الديني، ونال شهادة "شاهد" في ٣٠ حزيران/يونيو ١٩٨٦م، وعين داعية الجماعة في إندونيسيا في تموز/يوليو عام ١٩٨٦م. كان المرحوم يتلو القرآن الكريم بصوت جميل ورخيم جدا، وكان داعية مخلصا ومتحمسا جدا. إن مدة خدمته ممتدة على ٣٥ عاما تقريبا. كان إنسانا ذو هممة عالية وشجاعا جدا، وقضى حياة بسيطة وفضل القناعة دائما. ندعو الله تعالى أن يغفر له ويرحمه ويرفع درجاته. الجنازة الثانية هي للمرحومة **صبيحة هارون** زوجة السيد سلطان هارون التي توفيت قبل بضعة أيام عن عمر يناهز ٧٣ عاما، إنا لله وإنا إليه راجعون. لقد دخلت الأحمديّة في عائلة المرحومة نتيجة بيعة والدها الذي بايع بعد البحث والتحقيق بنفسه حين كان يبلغ من العمر ١٨ عاما على يد سيدنا المصلح الموعود ﷺ. ثم بايع جد المرحومة بعد بيعة ابنه. لقد رزقها الله تعالى ثلاثة أبناء وثلاث بنات. أحد أبنائها صهر للخليفة الرابع رحمه الله تعالى.

ندعو الله تعالى أن يغفر للمرحومة ويرحمها ويوفق أولاده للاستمرار في حسناتها.